

تأثير العلاقات الأسرية على الصحة النفسية للطفل

¹د./حاج زيان وهيبة

¹ - جامعة علي لونيسي البليدة 02 (الجزائر)، wahiba.hadj.ziane@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2024 /03/25 تاريخ القبول: 2024/..../. تاريخ النشر: 2024/06./30

ملخص :

لا يمكن الحديث عن الصحة النفسية والجسمية للطفل دون الحديث عن البيئة التي ينتمي إليها هذا الطفل ونعني هنا الأسرة، تلك البيئة الاجتماعية الأولى التي تستقبل المولود الجديد وتحتضنه وتقدم له الأمن والحماية والرعاية، وتزوده بأساليب التنشئة الاجتماعية ووسائل التوافق النفسي والاجتماعي مع المحيط الخارجي، فالأسرة هي المكان الذي يجد فيه الانسان راحته ويشعر بالدفء والراحة والطمأنينة التي لا يشعر بها في أي مكان آخر.

والمعروف أن تكوين الأسرة يبدأ منذ لحظة الزواج لتبدأ في الاتساع مع قدوم الأبناء فتتسج بذلك علاقات تعرف بالعلاقات الأسرية والتي تؤثر بأساليبها المختلفة والمتنوعة على شخصية الفرد داخل الأسرة وخارجها أي في المجتمع، لهذا يجب مراعاة بناء العلاقات الأسرية على أسس صحيحة حتى تؤثر بشكل ايجابي على سلوك الأبناء وصحتهم النفسية والجسمية.

نهدف من خلال هذا المقال، التعرف على أهمية الأسرة ووظائفها ونوع العلاقات الأسرية السائدة فيها وأثرها في ظهور الاضطرابات داخلها، وكذا تأثيرها على الاستقرار النفسي والعاطفي والاجتماعي للطفل من أجل ضمان سلامة صحته النفسية والاجتماعية والجسمية.

الكلمات المفتاحية: الأسرة، العلاقات الاسرية، الصحة النفسية. الامن العاطفي للطفل.

Abstract:

It is not possible to talk about the psychological and physical health of a child without talking about the environment to which this child belongs, and here we mean the family, that first social environment that receives and embraces the newborn and provides him with security, protection and care, and provides him with methods of socialization and means of psychological and social compatibility with the external environment. The family is The place where a person finds his comfort and feels the warmth, comfort and reassurance that he does not feel anywhere else.

It is known that the formation of the family begins from the moment of marriage, to begin to expand with the advent of the children, thus weaving relationships known as family relations, which in their various and varied ways affect the personality of the individual inside and outside the family ; Children and their mental and physical health.

Through this article, we aim to identify the importance of the family, its functions, the type of family relations prevailing in it and its impact on the emergence of disorders within it, as well as its impact on the psychological, emotional and social stability of the child in order to ensure the safety of his psychological and physical health

Key words: Family, family relations, mental health. The child's emotional security.

مقدمة:

لا يمكن الحديث عن صحة نفسية وجسمية للطفل دون الحديث عن وجود هذا الطفل ضمن أسرة مستقرة متوازنة، تراعي المقومات الأساسية التي ينبغي أن تقوم عليها الأسرة، ابتداء من أسلوب الزواج وطريقة اختيار الزوجين، مروراً بتوفير الظروف اللازمة لاستقبال الأولاد وتهيئة الأجواء المادية والنفسية، والأكثر من هذا الاستعداد والتكوين اللازم بكيفية تربية الطفل وتنشئته تنشئة سوية، وصولاً إلى اعتماد الأساليب

الصحيحة للمعاملة الوالدية والعلاقات الأسرية بين أفراد الأسرة، من هنا فإن النجاح في التعامل مع الأبناء أساس مهم من أسس التربية الجيدة فكم من أب أو أم أخفقا في تربية أبنائهم بسبب أنه أخفق في إيجاد طريقة ملائمة للتعامل معهم.

إن التركيز على العلاقات الأسرية التي تنتهجها الأسرة بتوفير الأجواء المناسبة لنمو الطفل نحو متوازنا يضمن له سلامة صحته النفسية والجسمية، خاصة وأن معظم مشكلات الأطفال التي تعرض على الأطباء النفسانيين والمعالجين في مجال علم النفس والطب العام، تكمن أغلبها في صعوبات تكيفهم مع بيئتهم الأسرية ذلك أن الطفل يقضي جزءا كبيرا من حياته في خضم العلاقات مع أفراد أسرته، حيث يتحدد مستقبله الى حد كبير بنوع العلاقة التي تربطه بهم، فهو يقوم بالتجارب والخبرات التكيفية الأولى مع والديه وإخوته مما يؤهله في المستقبل ليصبح شخصا قويا قادرا على مواجهة أكثر الصدمات النفسية قوة وشدة بشخصية وعزيمة شديدة وصامدة.

أولا/ الأسرة: مفهومها، أهميتها ووظائفها

1/ مفهوم الأسرة

تعد الأسرة الخلية الأساسية في المجتمع، فإذا صلحت صلح المجتمع وإذا فسدت فسد المجتمع كله، وهي الحصن الذي يتربى ويتعرض في كنفه الأبناء، فهي مسؤولة عن مدى قوة أو ضعف البنية المجتمعية العامة لكن السؤال المطروح: كيف يمكن لهذه الخلية الاجتماعية الأولية أن تقوم بمهامها التربوية في ظل التحولات الجديدة وهي الخلية التي تقترب من نقطة الانقراض في نظر بعض الباحثين، إن لم تكن قد انقرضت بالفعل في نظر آخرين أو على الأقل أنه لم تبقى لها سوى وظيفة التنشئة في السنوات الأولى من حياة الطفل من وجهة نظر فئة أخرى....

لكن ورغم كل ما يقال عن فقد الأسرة لكثير من وظائفها خاصة عند الغرب، إلا أنها كانت ولا زالت في مجتمعاتنا العربية والإسلامية، الجماعة الأولية الأولى التي تستقبل المولود الجديد وتحضنه ومنها يستمد قيمه واتجاهاته وعلى هذا الأساس فإن المناخ النفسي ونوع العلاقات والتفاعلات النفسية-الاجتماعية التي تسود بين أفرادها تعد من العوامل الأساسية في تطبيع سلوك الطفل وتوجيه حياته في المستقبل، وقد عرفها (زياد حمدان، دت، ص 29) بأنها «مجموعة من الأفراد المتكافلين والمتكاتفين معا والذين يقيمون في بيئة سكنية خاصة بهم وترتبطهم معا علاقات بيولوجية ونفسية وعاطفية واجتماعية واقتصادية وشرعية وقانونية»

و في تعريف آخر الأسرة هي "جماعة من الأشخاص اتحدوا برباط الزواج أو الدم أو التبني يعيشون في بيت واحد ويتفاعلون ويتصل بعضهم ببعض في قيامهم بأدوارهم الاجتماعية الخاصة بكل منهم كزوج وزوجة وأم وأب وابن وابنة وأخ وأخت ويكونون تحت ظل ثقافة مشتركة يحافظون عليها" (عبد الله خوج، فاروق عبد السلام، 1989، ص 17)

وهي أيضا مؤسسة وسيطة بين الفرد والجماعة ذات وظيفة تكوينية وتلقينية تستعين في ذلك بمكينزمات الضبط والادماج والضغط في تمرير وفرض قيم الجماعة، من حيث أن تلك القيم "كيفية وجودية" ووضعية سلوكية مثالية فكل سلوك اقترن بها وتبناه المجتمع يكون مرغوبا فيه وموضوعا للتقدير والاستحسان، أما إذا حدث العكس وتبنى قيما أخرى فيكون شاذا ومنبوذا ومستهجنا، وبناء عليه تعمل الأسرة على إعادة إنتاج القيم والمعايير الثقافية والأخلاقية الإيجابية والناجعة والمثل العليا مثلما تعيد بناء وضعية نفس الجماعة التي ينتمي إليها إنها تعيد إنتاج المدينة أو القبيلة بنفس القيم والتمثلات التي ورثتها" (الهادي الهروي، 2013، ص21)

2/ أهمية الأسرة

يعمل الوالدان ضمن مؤسسة الأسرة على غرس القيم والمعايير في الأبناء من خلال التنشئة الاجتماعية المستمرة وبناء نموذج الشخصية التي تتشكل لديهم بكل ما تحمله من خصائص نفسية واجتماعية وأخلاقية ودينية تنصب في مبادئ تربوية معينة وفقا للتصور أو المفهوم الذي تحمله الأسرة عن موضوع التربية، فهي مؤسسة أساسية ثقافية تختلف من مجتمع الى آخر، والعلاقات بين أفراد الجماعة الأسرية ليست مستقرة دائما لكن تتغير في الزمان والمكان، لذلك فإن استقرار الأسرة وصحتها النفسية مرتبطة بسلامة أبنائها حيث يتفق علماء النفس وعلماء الاجتماع على أهميتها من خلال ما تقدمه لهم على النحو التالي:

- الأسرة تؤثر على النمو (السوي وغير السوي) للطفل، وتؤثر في تكوين شخصيته وظيفيا وديناميكيا من خلال تأثيراتها على مختلف مظاهر نموه (نمو الجسمي ونمو العقلي ونمو الانفعالي والاجتماعي)
- الأسرة السعيدة تعتبر بيئة نفسية صحية للنمو، وتؤدي الى سعادة وسلامة صحته النفسية.
- الأسرة المضطربة تعتبر بيئة نفسية سيئة للنمو، فهي تكون بمثابة مرتع خصب للانحرافات السلوكية والاضطرابات النفسية والاجتماعية.
- الخبرات الأسرية التي يتعرض لها الطفل في السنوات الاولى من عمره تؤثر تأثيرا هاما في نموه النفسي.

ويشير أحمد اوزي (2011، ص 89) الى أن الأسرة هي أول مؤسسة تربوية يعيش فيها الطفل منذ ولادته بل وحتى قبل ذلك وشيئا فشيئا تتسع علاقاته واتصالاته بجماعات اجتماعية أكثر اتساعا من الأسرة كجماعة الفصل وجماعة الاصدقاء... الخ، ولا ينبغي أن نفهم من هذا أن دخول الطفل الى عالم المدرسة ينسيه أو يفقده تأثير الأسرة التي ينتمي إليها، فالأسرة تستمر في تأثيرها على الطفل وإن تفاوت هذا التأثير من أسرة لأخرى.

ولهذا لا بد أن يسعى الأبوان في كل أسرة الى الامام العلمي بنفسية أبنائهم حتى يتجنبوا قدر المستطاع الصراعات والخلافات التي تحدث في كثير من الأحيان بين الآباء وأبنائهم، خاصة في مرحلة الطفولة والمراهقة لتحقيق التوافق الذي يكفل التواصل معهم وفهم حاجاتهم ورغباتهم واحترام ميولهم ودعم وترشيد ما هو ايجابي وبناء.

ويضيف احمد اوزي (2002، ص 3) "أن تأثير جماعة الأسرة في سلوك الطفل أشد من تأثير أي جماعة اجتماعية، ذلك أن العلاقات بين أفرادها هي علاقات تتسم بالحرارة والدفء وهو ما لا يتوافر في الجماعات الاجتماعية الأخرى".

إن مهمة التنشئة والتكوين مهمة تقوم بها كل أسرة بصرف النظر عن حجمها وشكلها وبغض الطرف عن نوع المجتمع الذي تتواجد فيه ودرجته الحضارية والثقافية، فهي مسؤولية ثابتة وعامة في كل الأسر البشرية عبر التاريخ، سواء تعلق الأمر بالأسرة الممتدة أو الأسرة النووية.

3/ وظائف الأسرة

تتعدد المهام والوظائف التي تقوم بها الأسرة، إذ أنها تقوم بإنجاب الأطفال وتربيتهم وتعليمهم التعاليم الدينية، فضلا عن تدريبهم للقيام بأعمال مختلفة وتحميهم من الأخطار الخارجية وتحرس على ترفيهم في مناسبات معينة من أجل ترويحهم.

هذه المهام والواجبات كانت أساسية في حياة كل أسرة، إلا أنها مع تقادم الزمن وتطور الحياة الاجتماعية وظهور المخترعات والابتكارات العلمية والتقنية، باتت هذه المهام من واجبات مؤسسات أخرى داخل هيكل المجتمع، مثل المؤسسات الدينية والتربوية والصناعية والترفيهية والعسكرية، هذا التحول الوظيفي لم يحصل بسبب ضعف في أداء المؤسسة الأسرية لهذه المهام أو لأن المؤسسات الأخرى تقوم بإنجازها بشكل أفضل من الأسرة، لا بل إن حقيقة تطور المجتمع من مرحلة تطورية الى أخرى تزيد من تحضره وتقدمه وإبعاده عن

المرحلة التقليدية فتحتفي وظائف كانت جوهرية في حياتها لصالح مؤسسات أخرى لها علاقة بالوظائف الأسرية التي كانت تقوم بها وبذا تغير شكل الأسرة (معن خليل عمر، 2000 ، ص ص 15-16) مهما يكن من أمر ومهما استطاعت مؤسسات أخرى القيام ببعض أدوار الأسرة، إلا أن وظيفة منح الحب والعاطفة والسكينة والاستقرار، لا يمكن أن تكون إلا وظيفة الأسرة مهما تغير الزمن أو تطور، من هذه الوظائف المرتبطة بموضوع الصحة النفسية والجسمية للطفل نجد:

* تحقيق الأمن العاطفي للطفل

إن الطفل بحاجة الى الأمن وهو مجموع الشروط الضرورية للتطور العاطفي الجيد، وليس الأمن الذي توفره الأم سوى أحد مظاهر هذه الحاجة، فالطفل يحس بالأمن في الوسط الأسري الذي يشعر فيه بوجود راشد يملك القدرة على توفير الحماية له.

إن الحب لا يمكن أن يقوم بدوره الأساسي في توفير الأمن للطفل مالم يشعر هذا الأخير بأنه مرغوب فيه حقيقة في أسرته، فالطفل ينبغي أن يكون مرغوباً فيه لذاته ومقبولاً بما هو عليه وليس بما يقوم به، وأن عقابه إذا كان أمراً ضرورياً يجب أن يقع على العمل الذي اقترفه وليس عليه ذاته، فالطفل يحس خلال إيقاع العقاب الشديد عليه لأتفه الأمور أنه طفل مرفوض وغير مرغوب فيه، ولا يمكن للكلمات والاشارات والأشياء التي يقوم بها الآباء أن تعوضه الشعور بأنه محبوب حبا صادقا.

إن الحب الذي يمنح للطفل في سنواته المبكرة ينمي فيه مشاعر الاحساس بالثقة في ذاته مما يضاعف لديه قوة الإرادة ويجعله يحس بأهميته وكفاءته، كما أن مشاعر الثقة التي يحس بها في السنتين الأوليتين من حياته في نظر "أريك أريكسون" تغلب لديه على مشاعر عدم الثقة، كما أن مشاعر الاستقلال الذاتي تغلب لديه على مشاعر التشكك وإكسابه القدرة على المبادأة وتغلب لديه على مشاعر الاحساس بالإثم وتشجيعه على الانجاز ويجنبه الاحساس بالدونية(احمد اوزي، 1998)

لقد بينت الدراسات النفسية والاجتماعية حسب الباحث احمد اوزي(2002، ص45) أن العواقب الوخيمة التي تترتب عن فقدان الطفل الاحساس بالأمن في وسطه الأسري، تظهر في اضطراب السلوك والعصيان والكذب، وهناك نتائج أخرى تظهر على شكل أعراض سلوكية مثل فقدان الشهية للطعام وعسر الهضم والهزال والمرض.

يصبح الطفل راشداً سوياً أو غير سوي من الناحية النفسية بحسب درجة الأمن الذي يتحقق له في أسرته، غير أن هذا الأمن لا ينبغي أن يشكل سوى حاجة مؤقتة ترتبط بمرحلته الطفولية، حيث أن إفراط

الراشد الزائد في البحث عن الأمن، ليس سوى تعبير عن نضج عاطفي غير مكتمل لديه ويمكن أن نعتبر الطفل راشدا في الوقت الذي يتقبل فيه الشعور بعدم الأمن كما لو كان خطرا عاديا، هذا ويمكن اعتبار الأبوين ناجحين في تربية أطفالهما بقدر تعليمهم الاستغناء عنهما، ومن هنا نستطيع أن نؤكد مدى صعوبة الاضطلاع بأدوار الأمومة والأبوة على أفضل وجه.

ثانيا/ العلاقات الأسرية والتنشئة الاجتماعية

1/ الطفل والعلاقات الأسرية

إذا كان الزوجان هما الشرطين الضروريين لتكوين الأسرة، فإن بعض الباحثين يرون أن ميلاد طفل يخلق الأسرة بمفهومها الدقيق، ذلك أنه من أجله تتكون العديد من الوظائف وتنشأ شبكة معقدة من العلاقات بين أفراد الأسرة...

لذلك فالتحدي الحقيقي الذي يواجه الأسرة في العصر الحالي والعصر المعلوماتي، يتجلى في أن تظل بمثابة القاعدة الصلبة التي يحتتمي بها الطفل ضمانا لتوفير الأمن والاطمئنان والدعم العاطفي اللازم لنموه السوي في عصر مادي متغير.

فهي مسؤولة عن نشأة أطفالها نشأة سليمة متمسكة بالانتماء والاستقرار والود والطمأنينة وأن تبعد عنهم جميع أشكال العنف والكرهية، حيث يشير علماء النفس أن أشد العقد خطورة وأكثرها تمهيدا لاضطرابات الشخصية هي التي تكون في مرحلة الطفولة المبكرة خاصة من صلة الطفل بأبويه، كما أن تفاهم الأسرة وشيوع المودة فيما بينهم يساعد على نموه الفكري وازدهار شخصيته، كذلك أكد علماء التربية على أهمية تعاهد الآباء لأبنائهم بالعطف والحنان والرأفة بهم حفظا وصيانة لهم من الكآبة والقلق(مأمون طريه، 2012 ص13)

ولكي يصبح الطفل السوي راشدا، ينبغي أن تنمو شخصيته على صعيد ثلاثة جوانب متوازية وجد متداخلة فيما بينها في الوقت نفسه، هذه الجوانب الثلاثة هي: الجانب الجسمي والجانب العقلي والجانب العاطفي والأسرة هي المخولة الأولى لإشباع هذه الحاجات الضرورية، فتطور الطفل من حيث هذه الجوانب الثلاثة يهدف الى منحه قوة جسمية ووسائل ذهنية وتوازنا عاطفيا، يساعده على اتخاذ القرارات بمحض إرادته والقيام بالاختيارات اللازمة مع مراعاة حاجاته ومتطلبات المجتمع في آن واحد.

معنى هذا أن شعور الطفل بأنه مرغوب فيه ومحبوب ومستقر، يمنحه الركائز الأساسية الثلاث التي تشعره بالأمن الضروري لنموه العاطفي، كما أن التطور العاطفي للطفل يتم أول الأمر في وسطه الأسري من خلال تفاعلاته مع أفرادها، ومن ثم فإن هذا التطور قد يكون سويا أو مرضيا وذلك بحسب نوع العلاقات التي تربطه بهم وبحسب تفاعلاتهم فيما بينهم على مرآه ومسمعه يوميا وبصفة دائمة ومتكررة.

2/ سلطة العائلة والتنشئة الاجتماعية

يلعب الأب دورا مهما في تلقيه للقيم والمعايير المجتمعية للطفل وتحديد خريطة ما هو مقبول وما هو ممنوع حتى يستطيع أن يكون علاقات جيدة مع السلطة في المجتمع عندما يكبر، فالأوامر والنواهي الاجتماعية إن لم يتعرف عليها الطفل لا يستطيع أن يقبلها بعد ذلك وخاصة إذا كانت كل طلباته مجابة وكل ما يفعله مقبولا، فهو لا يقبل بعد ذلك أي تحديد لهذا السلوك كما أنه يقاوم أي سلطة تريد أن تحد من رغباته، والخطورة لا تكمن هنا فقط فعندما يضع وهو رجل في موضع يحتاج فيه الى ممارسة الانضباط سيجد ذلك صعبا فالسلطة مطلوبة بحب وحزم من الوالدين اتجاه الابن والطفل الذي يعامل بهذه "التوليفة" يشب قادرا على اتخاذ القرار بعد الحوار معه وعندما يتخذه يقوم بتطبيقه بجدية وهذا هو المطلوب في السلوك السوي (علياء شكري، 1991، ص333) ولهذا فعلى كل من الوالدين أن يمارس دوره في بناء نسق السلطة على نحو صحيح وبعيدا عن الصراع والتوتر.....

3/ الطفل وأساليب العقاب

قد يحدث العقاب الذي يمارس ضد الأطفال في الأسرة في سياق التأديب في كثير من الحالات ويتخذ شكل العقاب البدني أو العقوبة القاسية أو المهينة، وتنتشر المعاملة القظة والعقاب الشديد في البلدان الصناعية والنامية معا، وكثيرا ما يكون العنف الجسدي مصحوبا بعنف نفسي فالإهانات والسب والعزل والصد والتهديد وعدم الاكتراث العاطفي والتحقيق، كلها من أشكال العنف الذي قد يؤثر بشكل حاسم على نمو الطفل النفسي والعاطفي، من هنا وجب تجريم العنف بحق الأطفال من أجل التصدي لسلوك بعض الاهل الذين يعتبرون أولادهم وكأنهم ملكية خاصة موضوعة تحت تصرفهم (منى فياض، 2013، ص 46) وفي دراسة عن الاتجاهات الوالدية في تنشئة الطفل وطرق عقابه، تشير الباحثة فاتن شريف (2006 ص201) أن الوالدين في الطبقة العاملة الفقيرة يميلان الى عقاب أبنائهما بدنيا بينما في الطبقة المثقفة، فإن عقاب الوالدين يعتمد أكثر على التعقل والعزل والمناشدة بعدم ارتكاب الذنب ووسائل أخرى تشمل التهديد بفقدان الحب، وفي الطبقة المتوسطة يتعرض للعقاب من والديه بأساليب لفظية تحمل معنى الاشعار بالذنب

والتهديد بالحرمان وإثارة الخوف على علاقة الابن العاطفية بأبويه وعلى وضعه أو مكانته بالنسبة للجماعة أما الطفل في الطبقة العاملة فيتعرض لظروف تقل فيها أهمية العلاقات الاجتماعية في داخل الأسرة، كما لا يستخدم المركز الاجتماعي والمكانة الاجتماعية كحواجز تستخدم في عملية التربية مثل هذه الظروف قد تؤدي بالطفل في الطبقة المثقفة الى أن يتعلم التحكم في سلوكه حفاظا على علاقته بأسرته وعطف والديه ورعايتهم.

4/ سوء معاملة الطفل

الحديث عن طرق العقاب وأساليبه يجزنا للحديث عن سوء المعاملة التي يتعرض اليها الطفل في أسرته وخارجها، خاصة وأن تأثيرها كبير وخطير على نموه النفسي والاجتماعي وكثيرا ما تبقى انعكاساته حتى في كبره وفي طريقة تعامله مع أبنائه مستقبلا...

ويشمل مفهوم سوء المعاملة، العنف بمعنى الايذاء، والرفض بمعنى الاهمال، والحرمان والاساءة بمعنى التجريح والتحقير، وقد أشارت منظمات حكومية عديدة الى معايير عديدة وغنية تحدد معنى سوء المعاملة ومنها ما عرفته منظمة حماية الطفولة من العنف وسوء المعاملة الأمريكية، بأن سوء المعاملة هو «أي إيذاء جسدي أو عقلي أو جنسي أو إهمال أو تقصير رعايائي اتجه من هم دون الثامنة عشر عاما، من قبل والديهم أولا باعتبارهم المعنيين برعاية الاطفال وتأمين حوائجهم الصحية والمسؤولين عن حمايتهم من أي أذى " (مأمون طريه 2013، ص 30)

فعندما يعيش الطفل سوء المعاملة في أسرته -أيا كان نوعها وحدتها- نكون في هذه الحالة أمام أسرة غير مستقرة تعاني صراع أدوار وأزمة علاقة بين أفرادها، نتيجة لافتقارها الانسجام وشتى الخلافات المستمرة ومن أبرز الأشكال التي يؤدي بها الآباء أطفالهم عاطفيا والتي يجمع أهل الاختصاص على علاقتها مع صحته النفسية ونموه الطبيعي، هي:

أ/ الحرمان والتجاهل ب/ عدم التقدير ج/ الخضوع لسلطة الأبوين

حيث قد يمارس الأبوان إحدى هذه الطرق أو كلها، للتنفيس عن صراعاتهما النفسية ولتجنب مواجهة المتاعب والضغوط الحقيقية التي تواجههما عند تربية الاطفال:

أ/ الحرمان والتجاهل: إن غياب الأبوين عاطفيا قد يدمر نفسية الطفل، حيث أن الطفل حينئذ لا يحصل على أي من المكافأة أو وسائل الدعم والتشجيع عن حبه للاستطلاع وتقدمه في النمو وتفوقه.

ب/ **عدم التقدير:** في بعض العائلات يتصرف الأهل -وربما دون وعي- نحو التقليل من قيمة إنجازات الطفل، مستخدمين لتحقيق ذلك الكلمات الجارحة وتهميش إنجازاته وهذا يؤذي عاطفيا.

ج/ **الخضوع والطاعة:** إن استخدام الأبوين للتهديدات المستمرة لدفع الفضول الطبيعي لدى الطفل نوع آخر شائع من أنواع العنف العاطفي، نقصد هنا بفكرة الخضوع لسيطرة الأب أو الأم الكلية على جميع تصرفات الطفل، فيحذره عبر الصد أو التحذير من أن يقوم بعمل دون إذنه وإلا... مثل هذا الأسلوب ما هو الا محاولة من قبل الأهل لفرض سيطرة وإخضاع اعتقادا منهم بأنها لغاية تعليمه السلوك الجيد وغرس قيم التهذيب لديه، ولكن ثمة farkا كبيرا بين السيطرة عن طريق التعليم والتربية وبين السيطرة بفرض القسوة على الطفل فالأب أو الأم اللذان يفرضان سيطرتهما على الطفل يجبرانه على الانصياع لأوامرهما بالإرهاب والتخويف (مأمون طريبه، 2013، ص 97)

لا بد أن يعرف الآباء، أن قابلية الاطفال لأسلوب ما أو استجابة الطفل لأسلوب ما تختلف عن استجابة الطفل الآخر، فطفل يؤدب من خلال الضرب، طفل آخر من خلال الحرمان من بعض المزايا، طفل آخر من خلال التأنيب، طفل آخر من خلال الدلال، طفل آخر من خلال التجاهل، طفل من خلال الملاحظات الناعمة... كل طفل يستجيب بطريقة ما(عبد الكريم بكار، 2007، ص 19) وما من شك في أن الذين جربوا أسلوبا واحدا أو كرروا أسلوبا واحدا مرة، لم يفعلوا شيئا لكن الذين يجربون كل يوم أسلوبا هم الذين يسلكون السبيل الصحيح حتى وإن لم يصلوا الى ما يريدون...

في الاستنتاج يبدو أن المتاعب واحدة وإنما كل ينظر إليها من زاويته، فالأهل الذين يفضلون الأوامر والالزام سيصطدمون لا محالة بمقاومة الابن الذي سيرد على الضغط والاكراه وعلى التهديدات وإجراءات التأثير القاسية بإجراءات مضادة كالحذاع والمراوغة وأحيانا بثورات من الغضب قد توصل الى الكره العلني لأبويه، وكذلك حرمانه من حقه في الكلام عند معالجة بعض المسائل المتعلقة به وهذا كفيل بالإخفاق في تشكل الشخصية عنده، يقول أحد المربين أن مساحة السيطرة الأبوية يجب أن تكون ضيقة حتى تتيح للأبناء فرصة تكوين شخصية خاصة بهم وابداع فعال، فالخزم الواضح والدقيق مع الأبناء ينتج أبناء أسوياء سعداء وحياة أسرية يسودها السلام، فالأب المحب الحازم والمتسامح من دون تزمت هو الأب الذي يعرف أن إحساسه يتجه الى نضج ابنه بالتفاعل لا بالقهر وبالتفاهم لا بالقسر وبالحنان لا باللامبالاة لهذا فسياسة المواجهة المستمرة عندما يكون التوتر سيد الموقف في العائلة من الصعب عندها بناء أية علاقة بين الآباء والأبناء، إذ تتراكم الحساسيات والمشاحنات وتزداد الإساءات المتبادلة وتجبر المواجهة المستمرة الاطراف على

ملاحظة الجوانب الضعيفة للآخرين والمبالغة فيها وتبدأ الشماتة والملامة بحجة الإخفاق أو اللوم الذي يليه كل منهم على عاتق الآخر، وتستمر الحرب الباردة حتى يكبر الأبناء وقد يحملون شيئا من تداعيات المناخ القاتم الذي كان سائدا، لذا لا بد من سياسة التعايش السلمي وتعني أن لكل منهم كيانه الخاص ومجاله من النشاط الذي يجب أن يحترم، أن الفصل بين عالم الأبناء وعالم الكبار يعتمد غالبا على قاعدة تربية تقول "نحن لن نبحث عن عقول الكبار في أجساد الصغار" (مأمون طريه، 2012، ص 159)

إزاء ذلك يجب أن لا نبقي ضحايا الأساليب الخاطئة التي يعتمد عليها مجتمعنا أو التي نستوردها جاهزة لتقييم تصرفاتنا وعلاقتنا بذويها أو علاقة ذويها بنا، ثمة تدابير معينة في أي مجتمع يمكن أن تطرح وتكرس للمساعدة على تحسين العلاقة بين الأهل والأبناء عبر لعب الأهل دورا هاما في بناء شخصية متينة لدى أبنائهم، منها:

* اعتماد نمط سلوكي قويم يستمد منه الطرفان شفافية التصرف.

* الابتعاد عن الاستهزاء والانتقاد والتهكم "فالتهمكية داء من الصعب مقاومته متى استفحل"

* قيام الأهل اتجاه الأبناء بدور الحليف الواثق بنفسه يمنح التشجيع ويتخلى عند الضرورة ويوفر المساعدة على العقبات.

* فرض النظام بجو من الاحترام عند التعامل بين الطرفين، يجب أن يقدر الأبناء قلق الأهل عليهم وعلى الأهل أن يعوا رغبة الابناء في توجيهاتهم واختياراتهم.

* ضرورة الحوار الهادئ والمناقشة الحرة في جو من الصداقة والمحبة والتفاهم واستعداد كل طرف أن يتنازل للطرف الآخر عن كل ما هو غير مناسب، على أن يخلو الحوار من القسوة والشدة والسلطة ولا يكون هناك عناد من أي طرف.

* تعويد الأهل لأبنائهم على تحمل المسؤولية وحرية التصرف في بعض الأمور مع التوجيه الخفيف وعدم التدخل الزائد في كل شيء بل الالتزام بالمرونة.

* الثقة المتبادلة بين الطرفين واحترام كل طرف للآخر وعدم استهتار الأهل والأبناء بآراء الطرفين مهما كان نوعها.

* الاقتناع بالتطور ومحاولة تقبل الأمور بهدوء وعدم الانفعال.

* عدم اتخاذ الأهل لأي قرار يخص أبنائهم دون معرفة رأيهم وأخذ موافقتهم واقتناعهم بذلك.

* أن يكون الأهل قدوة لأولادهم في التصرف وعدم قيام الأبناء بأي تصرف دون أخذ رأي الأهل وإقناعهم بذلك.

ثالثا/ خاتمة

في الختام لا بأس أن نلقي نظرة عن ما أوصانا به الاسلام في معاملة أبنائنا، إذ بالغ الاسلام في الرحمة بالأطفال والعطف بدرجة كبيرة لم تصل إليها حضارة من الحضارات حتى الآن..

إن نظرة الاسلام للطفل هي نظره العامة للإنسان فإنه يولد حرا، فليس لأحد أن يستعبده أو يذله أو يقهره أو يستغله ولا عبودية لغير الله "فسلامة جسد الانسان مصونة لا يجوز الاعتداء عليها وتكفل الدول حماية ذلك" (عامر شماخ، 2010، ص64) وللطفل في الاسلام الحق أن يلقي من والديه ومن غيرهما المعاملة الحانية وأن ينشأ على القيم الانسانية والأخلاقية .. وله الحق في الاستمتاع بطفولته وليس في هذا أي تعارض مع تآديبه وتنشئته تنشئة سوية سليمة، إذ يراعي الاسلام التدرج في التربية ومراعاة قواعدها بالتوجيه المستمر والاهتمام الشديد وشغل وقت الطفل وربطه بالصدقات الصالحة فضلا عن قدوته المتمثلة في والديه والمحيطين به.

ويدعو الاسلام الى إسعاد الطفل وإدخال السرور على نفسه ويدعم ثقة الأطفال بأنفسهم ليشبوا رجالا أصحاب النفوس أقوىاء الارادة، كما يدعو الاسلام الى محاورة الطفل وإقناعه الى التماس الأعذار له والصبر عليه لصغر سنه وقلة خبرته، كما يحترم رأي الطفل ومشاعره ويقدر رغباته، فلا يجوز بالتالي إكراهه على شيء أو حبسه والتضييق عليه وعموما يدعو الاسلام الى معاملة الاطفال بالرفق ويكره المشقة عليهم والاساءة بأي شكل وليس للمربي اللجوء لعقوبة الطفل إلا عند الضرورة القصوى وبعد استنفاد الوسائل التهديدية والزجرية وأن يتدرج في العقوبة من الأخف الى الأشد، وألا يضرب وهو في حالة غضب.

أما حال النبي -صلى الله عليه وسلم- مع الأطفال فكانت عجيبة، إذ كان -صلى الله عليه وسلم- أرق وأرأف خلق الله بهم، وكان شديد العطف عليهم يقبلهم ويضمهم ويحزن حزنا شديدا لفقدهم..

إن التربية الأساسية للطفل تتطلب تأديبه بآداب الاسلام ومكارم الأخلاق وتعويده اجتناب المحرمات وسائر السلوكيات والعادات السيئة والبعد عن قرناء السوء وتعميق شعوره بالمسؤولية تمهيدا لتحمله المسؤولية الكاملة عند بلوغه السن القانونية، ولن يكون ذلك إلا بالعقاب الصحي المشروع مع اجتناب المبالغة في العقاب ودوامه ومع تقديم الزجر والتخويف على العقاب المادي، على طريقة عمر بن الخطاب رضي الله عنه (شدة في غير عنف) وكما يقول صلى الله عليه وسلم "علقوا السوط حيث يراه أهل البيت فإنه أدب لهم"

ولا ننسى أن هذا الدين يوجه الآباء والأمهات والمربين الى التعامل مع من يقومون على تربيتههم بالحبة والرفق والبعد عن العنف بكل صوره وأشكاله، لأن العنف كما يقول نصر التهامي (2011، ص88) يزيد من مقاومة الولد وعناده ويوقعه فريسة للاضطرابات النفسية التي تؤدي الى تقويض بنيانه النفسي كله، وقد يضيق صدر بعض المربين من سلوك الأبناء وخصوصا المراهقين منهم فينهالون عليهم باللوم والتسفيه والتجريح أو العقاب البدني .. وهذا ما ينهى عنه الدين الذي يأمر الآباء والأمهات بأن يتقوا الله في فلذات أكبادهم وأن يقوموا على تربيتهم بحسن الأدب والخلق الطيب... وفي ذلك تأكيد لمصاحبة الأب لابنه والمرئي لمن يقوم على تربيته، مصاحبة الصديق الناصح الأمين، وهذا ترجمة عملية لقول الرسول صلوات الله عليه "الزموا أولادكم وأحسنوا أدبهم" وبذلك يسهم الآباء والأمهات جميعا في خلق جيل واع مستنير، لا تهزه العواصف ولا تزعزعه الظروف، الاسلام دينه والقرآن دستوره ورسول الله إمامه و قدوته.

قائمة المراجع

- 1/ أوزي أحمد، سيكولوجية الطفل ونظريات النمو النفسي، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء (1989).
- 2/ أوزي أحمد، الطفل والعلاقات الاسرية، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، (2002).
- 3/ أوزي أحمد، المراهق والعلاقات المدرسية، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، (2011)
- 4/ بكار عبد الكريم، العدوانية، نحو القمة للطباعة والنشر، سورية، (2007).
- 5/ التهامي نصر، كيف نربي أبنائنا في الزمن الحالي، دار المجدد، الجزائر، (2011).
- 6/ حمدان محمد زياد، الأسرة والمجتمع، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، (د ت).
- 7/ خوج عبد الله، عبد السلام فاروق، الأسرة العربية ودورها في الوقاية من الجريمة والانحراف، المركز العربي للدراسات الامنية والتدريب، الرياض، (1989).
- 8/ شكري علياء، علم الاجتماع العائلي، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، (1991).
- 9/ شماخ عامر، العنف الاسري، الصحوة للنشر والتوزيع، مصر، (2010).
- 10/ طريبه مأمون، السلوك الاجتماعي للأسرة، دار النهضة العربية، بيروت، (2012) .
- 11/ طريبه مأمون، في بيت أبي ضربت، دار النهضة العربية، بيروت، (2013).

- 12/ فياض منى، أن نتعامل مع العنف بيننا، دار النهضة العربية، بيروت، (2013).
- 13/ معن خليل عمر، علم اجتماع الاسرة، دار الشروق للنشر والتوزيع، الاردن، (2000).
- 14/ الهروي الهادي ، الاسرة، المرأة والقيم، الدار البيضاء، افريقيا الشرق، (2013).